الاغتراب في شعر المهجر وأثره الصوفي

م. د بشار جمال بغدادي سلمان

وزارة التربية / مديرية تربية ذي قار / قسم تربية الغراف

البريد الإلكتروني Email : gsbdjddbdj@gamil.com

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، الشعر، المهجر، التصوف.

كيفية اقتباس البحث

سلمان، بشار جمال بغدادي ، الاغتراب في شعر المهجر وأثره الصوفي،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الثاني ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:١١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Political alienation in the poetry of the diaspora and its Sufi influence

Bashar Gamal Baghdady
Ministry of Education / Dhi Qar Education Directorate
AlGharraf Education Department

Keywords : Alienation, poetry, the diaspora, Sufism.

How To Cite This Article
Baghdady, Bashar Gamal , Political alienation in the poetry of the diaspora and its Sufi influence,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, November 2026,Volume:16,Issue 11.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

The importance of this research revolves around the phenomenon of alienation among the diaspora. This persistent phenomenon has given rise to an impression similar to that of the Sufi mystics of the past, such as Ibn Arabi and Al-Hallaj. This research seeks to elucidate the mechanisms by which this phenomenon is portrayed. While we understand it from the context as simply alienation, the research reveals that it is not merely alienation from one's homeland, but also spiritual alienation. This is achieved through the use of Sufi vision as a tool for transcending and overcoming materialism. The diaspora poet did not merely convey the reality of spatial alienation they experienced in their homeland, but also the reality of spiritual alienation. They attempted to reconstruct this alienation according to an illuminating vision that transforms material things into symbols and seeks to create a union between the self and the universe by revealing the secrets of spiritual alienation. The aim of this research is to analyze the effects and types of alienation. His three demands are to define the meaning of alienation, its dimensions, and its

effects, which led to its emergence. He identifies several causes of alienation. The second demand examines the role of alienation in the movement of the emigrant poets and the entrenchment of this phenomenon, which has always been an integral part of the lives of this elite group of poets, whether by choice or by choice. The research also reveals the spiritual experiences and mystical union inherent in the phenomenon of alienation, which the poet Mikhail Naimy employed philosophically. It explores how these poets attempted to merge spatial and temporal distances, rejecting the notion of earthly boundaries and establishing spiritual union that transcends all distances. This phenomenon, inseparable from them, gave rise to the idea of mystical union and merging with the divine essence, enabling the poets to express the absolute. This study concludes that they confronted the clamor of material life by turning away from it and becoming alienated from it. This was achieved through the work of a select group of poets, such as Gibran Khalil Gibran and Ilya Abu Madi.

الملخص :

تدور أهمية البحث حول ظاهرة الاغتراب عند المهجر ، وبسبب هذه الظاهرة العنيدة تولد لديهم انطباع مشابه للانطباع الصوفي عند القدامى امثال ابن عربي والحلاج وغيرهم حيث سعى هذا البحث إلى استجلاء اليات تصوير تلك الظاهرة التي نفهم من خلال السياق انها غربة فقط الا انها ومن خلال البحث تبين انها ليست فقط غربة وطن بل هي اغتراب روحي من خلال توظيف الرؤية الصوفية بوصفها اداة لعبور المادية وتجاوزها وان الشاعر المهجري لم يكتف بنقل واقع الغربة المكانية التي كان يعاني منها في بلادة بل نقل واقع اغتراب الروح لمحاولة منهم لإعادة بناءه وفق رؤية اشراقية تحيل الاشياء المادية الى رموز وتحاول إيجاد فرصة لخلق اتحاد بين الذات والكون من خلال كشف اسرار اغتراب الروح. والهدف من البحث هو تحليل آثار الاغتراب وأنواعه. مطالبه الثلاث بتحديد معنى الاغتراب وابعاده واثاره التي دعت الى توليده عده أسباب للاغتراب وفي المطلب الثاني دور الاغتراب في حركة شعراء المهجر واستتباب تلك الظاهرة التي لطالما كانت ملازمة لحياة هذه النخبة من الشعراء سواء أكانت اختيارية في لمسناها عندهم وايضاً يتضح من خلال البحث التجارب الروحية والاتحاد الصوفي في ظاهرة الاغتراب الذي وظفه فلسفيا الشاعر ميخائيل نعيمة وكيف حاول هؤلاء الشعراء من دمج المسافة المكانية مع المسافة الزمنية ورفض فكره الحدود الارضية وجعل الاتحاد الروحي عابر لجميع المسافات من خلال هذه الظاهرة التي لم تنفك عنهم ومنها انتجوا فكرة الاتحاد الصوفي والذوبان في الذات الالهية حيث مكنت الشعراء من التعبير عن المطلق وخلصت هذه الدراسة الى مواجهة صخب

الحياة المادية من خلال الصد عنها والاغتراب منها. وكان ذلك باستخدام نخبة من الشعراء امثال جبران ميخائيل وإيليا
أبي ماضي.

مقدمة

إنّ مشكلة الاغتراب عند المهجر امر طبيعي بسبب الظروف التي كانت مصاحبة لحياتهم بعد الرحلة الطويلة وأن دراسة ادب المهجر تكمن في اغلبه ادب اغتراب حيث برز عدد من شعراء المهجر الذين جسدوا مرارة الاغتراب وعذاب الروح بشكل واضح خصوصاً في العصر الحديث ومنهم جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وايليا ابي ماضي وفوزي المعلوف ونسيب عريضة وغيرهم، فقد ربط اغلبهم شعرهم بالتصوف والعزلة نتيجة اوضاعهم السياسية والظلم الذين عاشوه فقد مزجو بين الحنين إلى الوطن والنزعة الصوفية وهنا تكمن أهمية الشعر المهجري في الادب والانطباع السياسي في حياتهم والتمرد والثورة على الأعراف السائدة والتوحد، ويقع البحث ضمن حدوده الموضوعية التي تشير الى انعدام المعنى والعزلة وانعدام المعايير، وذلك الاغتراب عن الذات، أما في الحدود الزمانية فقد يتناول حياة شعراء المهجر في بداية القرن العشرين، أما المكانية فتكون حياتهم في أمريكا وفرنسا، ونتبع في ذلك المنهج الاجتماعي والنقد التحليلي لما فيه من فائدة لمعرفة اسباب النزعة الصوفية واثرها في الاغتراب، كذلك نعتمد المنهج المقارن بين التصوف الإسلامي وشعر المهجر.

أهمية البحث:

نظرا لما تمتلكه هذه الظاهرة من اهمية في حياتنا العامة وحياة شعراء المهجر بصورة خاصة في كونها تدرس حياة ادباء المهجر من زاوية صوفية وهو مصطلح ديني صوفي عقائدي يضرب اركان الروح من الداخل حيث خرجت هذه الدراسة من الإطار الوصفي البحث الى إطار التحليل الفلسفي والجمالي في حياة شعراء المهجر وان عدم دراسة هذه الظاهرة يبقى الغموض مسيطرا على داخل اشعارهم رغم أن بعض الدراسات تناولت هذه الظاهرة الا انها لم تغوص في اعماق وجدان المشاعر وأسباب تولد تلك النزعة مما ولد نقاط عدة منها:

١- اثار الاغتراب وابعاده النفسية والروحية وكيف تجلت هذه الصورة عندهم حيث سعى البحث الى تقليل الاليات التي مكنت الشعراء من تحويل الازمة الاجتماعية والروحية إلى إنتاج ابداعي.

٢- تبين دور تلك الحركة في الشعر العربي ما يعطي له جمالية خاصة بين ذواقين الكلام ومستكشفين الاثار الروحية للألفاظ،

٣- ايجاد تواشيح للروح المادية والمعنوية ورفض الحدود المكانية التي عانى بسببها شعراء المهجر.

مشكلة البحث:

تكمن المشكلة حول الاغتراب عند الشعراء والسبب في ذلك، وكيف تكمن النزعة الصوفية عند اشخاص لا دينيين وليس لهم علاقة بالإسلام واثر الاغتراب في حياتهم وكيف تحول الاغتراب الى مشكلة روح ذات ملامح صوفية.

الدراسات السابقة

يستند هذا البحث الى الدراسات الرصينة التي قاربت الرؤية الصوفية والاغتراب من وجهة نظر شعراء المهجر. ٢٠١٦.

١- دراسة بشار جمال بغدادي، بعنان البعد الصوفي في الشعر المهجري حيث تعد هذه الدراسة من أكثر الدراسات عمقاً حيث ركز فيها على المرتكزات المعرفية والدينية والنزعة الصوفية لديهم الا انها لم تأخذ المساحة الكافية لمعرفة ظاهرة الاغتراب

٢- دراسة ابراهيم منصور ٢٠٢٠ بعنوان البعد الصوفي عند شعراء المهجر الشمالي تناولت هذه الدراسة الربط الوثيق بين النزعة الرومنتيكية التي شاعت في الادب الغربي والتوجهات الصوفية واجرت تطبيقا على شعر ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران وركز الباحث على علاقة الشعراء بالطبيعة محاولاً إيجاد صورة مثالية للطبيعة على حساب المادة واغفلت هذه الدراسة اليات وحدود الاغتراب الروحي والنفسي لدى شعراء المهجر.

٣- دراسة عبد العزيز بو شلاق ٢٠١٩، النزعة الصوفية في كتابات جبران خليل جبران.

تناولت هذه الدراسة تطوير جبران خليل جبران للنزعة الصوفية من خلال تبني ظاهره التمرد على سنن المجتمع العربي الشرقي التقليدي والهروب من الواقع الذي يعيشونه متجها نحو الروح الكلية، والحلول واغفلت هذه الدراسة انسياب تلك النزعة الصوفية التي يعد الاغتراب ركنا أساسيا فيها.

منهج البحث:

يعتمد هذا المبحث منهجا و تحليليا حيث يصف ظاهرة الاغتراب في الشعر المهجري واثار النزعة الصوفية فيه بدقة.

ثم يحللها ويعود بها الى مكوناتها والاستعانة بالمنهج الفلسفي لتشكيل المعاني الصوفي و(الانسان الكامل، وحده الوجود) كذلك لم يغفل الباحث المنهج المقارن في الربط بين التصوف

الاسلامي وشعراء المهجر الذين هم بطبيعة حالهم غير اسلامين، اي كشف التصوف اللاديني (صفة موجودة عند شعراء المهجر).

المطلب الاول مفهوم الاغتراب

أصل كله الاغتراب لغة يعود الى جذر (غَرَبَ) ويعني النوى والبعد والابتعاد عن الوطن والاهل وهو مشتق من الغربة ويستخدم بمعنى الزواج من غير الأقارب.

اما اصطلاحا يفهم بأنه انفصال شعوري بالذات عن محيطها ويترجم مفهوم غربي Alienation الذي يعود إلى اللغة اللاتينية بمعنى اجعل الآخر غريباً او منفصلاً ويشير البعد عن الذات أو المجتمع او العمل او الافكار.

والفعل غَرَبَ: أغَربَ مصدر غرْبٌ وقد ركز صاحب المعجم الوسيط الغريب غير المعروف والمألوف والغريب الرجل ليس من القوم ولا من البلد والجمع غرباء [١].

انا في معجم لسان العرب فيذكر لغة: تعني النزوح او البعد عن الوطن والسفر بعيداً عنه اما اصطلاحا ايضا هو الانفصال عن الذات والمجتمع، او انفصال الفرد عن واقعه اوعن ذاته او عن الآخرين او عن المجتمع وفيه ما يولد شعوراً بالوحدة وفقدان المعنى[٢].

اما عند المعجم فهو حالة نفسية او اجتماعية يعيشها المهاجر تتمثل بالشعور بالبعد والانفصال عن الوطن الام، الاهل، الهوية واحياناً عن الذات، نتيجة للابتعاد القسري أو الاختياري ويعرف لغوياً بالابتعاد عن الديار او البعد عن معنى جديد للحياة، ونلمس هذه التجربة في ادب المهجر كصراع ذاتي وخارجي بين الماضي والحاضر وبين ثقافات دخيلة اكتسبوها اثناء الهجرة وولد لديهم عده انواع من الاغترابات منا الزماني والمكاني وخصوصاً في فتره عصيبة تمثلت بعدم وجود التواصل بين البلدين وبعد المكان وصعوبة الحياة وشفف العيش أنا الأمر الآخر فتمثل بفقدان الهوية بوجود صراع بين الهوية السابقة والهوية الحالية (الجديدة) او التي حصلت نتيجة السفر الشعور بالاختلاف في المجتمع المضيف، اما الاغتراب الثالث فهو الاغتراب الوجودي اي انهم شعروا بالضياع وفقدان المعنى والعزلة الاجتماعية والوجدانية واما الاغتراب العاطفي فقد جسده اغلب شعراء المهجر نتيجة السفر خصوصاً وان اغلب الذين هاجروا هم من طبقة الشباب بطليعة عمرهم ما ولد عندهم حالة من الصعوبة بسبب السفر وترك الأحبة من الأهل والاخوة والحبيبة والابناء وغير ذلك، مما ولد لديهم حالة من الاكتئاب النفسي ويتجلى ذلك الاغتراب عند المهجر في شعرهم وأدبهم كشكل من أشكال التعبير عن المعاناة والحنين ويظهر في اعمال الشعراء والروائيين والمهاجرين حيث يؤثر الاغتراب على الاعمال الفنية لدى شعراء المهجر مثل أعمال الخزافين العراقيين في المصر. وقد برز الكثير من شعراء المهجر في هذا المجال ومن

بين الذين برزوا هو الشاء الكبير ايليا ابي ماضي الذي عُد من الشعراء البارزين في الأصوات الشعرية في المهاجر الامريكية ومن الشعراء العرب المعاصرين، نظم كثير من القصائد في حب الوطن من بينها قصيدته المشهورة (وطن النجوم) ويمتاز شعره بصدق الشعور [٣].

وحيث شغل موضوع الاغتراب الشاعر الشابي في مذكراته الاحساس الشديد بالغربة والضياع بقوله في احدى قصائده

اشعر الان اني غريب في هذا الوجود غربة

لا حميمٌ كم انا في الدنيا غريب اشعر بغربة نفسي

بين قومٍ لا يفهمون أناشيد فؤادي ولا معاني بؤسي[٤]

فهنا ايليا ابي ماضي وضح الشعور بالغربة ولامست الوصول الى حالة الاغتراب الروحي التي دخلت فيها ملامح الصوفية، حيث اغتراب النفس في قوله (أشعر بغربة نفسي).

اما في الغربة الروحية فجسد لنا الشاعر كلمات من ديوانه يذكر فيها

غربتي غربة المشاعر والروح وان عشت بين اهلي وصحبي[٥]

ثم يبدا منا بذكر ما يعانيه من الم الغربة ويذكر مدى الوطنية في الحياة

خذيني اليكِ افتش عن منبع في الصخور

ولا تتركيني عن الورى في الرمل

اعود الى الفقر لا تتركيني[٦]

لا تتركيني

كذلك في أبياته يتناول الاخذ الروحي بقوله (خذيني اليكِ افتش عن منبع) فلا يقصد بذلك الاخذ المادي، بل يتجه اتجاها روحيا مغتربا عن الآخرين.

٢- ابعاد الاغتراب

للاغتراب عند المهجر أبعاد عديدة مهمة وظفت من خلال اشعارهم وكتاباتهم ممكن التعرف على أبرزها

1- الاغتراب الاجتماعي عاش شعراء المهجر حالة نفسية واجتماعية معقدة عبرت عن الشعور بالغربة والعزلة وفقدان الانتماء والانفصال عن محيطه الجديد واحياناً عن ثقافته الأصلية وهذا الشعور يتجاوز مجرد تغيير المكان ليشمل القيم والثقافة والسلوك وولد لديهم انكفاء على الذات والحنين المرضي والشعور باللاهدف بعدم الجدول من الحياة في المهجر.

٢-الاغتراب النفسي أو الذاتي: في هذا النوع نلمس اغتراباً للشاعر عن نفسه وفقدان الصلة بذاته وهو اغتراب الشخص عن مشاعره وهويته.(٧)

٣- الاغتراب الوظيفي: أدرك شعراء المهجر بعد السفر ان عدم المعنى في العمل وخصوصاً باختلافاته وانظمته وهم في بلدان ترى العمل أهم شيء الا انهم لا يرون ذلك فقد عاش اغلبهم حياة الفقر والبؤس لاختلاف البنية التي كانوا فيها.

٤- الاغتراب الثقافي: شعر ادباء المهجر باختلاف تام بين ما كانوا عليه وبين ما آلوا اليه مجددا حيث انعدام القيم في المجتمع وتقاليده ما ولد عندهم اغتراباً اخر وهو طبيعة الحياة وكيف ممكن ان يتكيفوا معها.(٨)

ويعد ادب المهجر في اغلبه ادب اغتراب من جميع النواحي وفيه برز عدد من الشعراء الذين جسدوا مرارة الاغتراب وعذاب الروح بشكل واضح وجلي وخصوصاً في العصر الحديث ومنهم جبران خليل جبران وهو من الشعراء البارزين في المهجر الذين عبروا عن اغتراب الروح من خلال ما كتبه في الشعر وفرح بين الحنين للوطن وبين النزعة الصوفية ذات الأبعاد السياسية وهنا تكمن قضية الشعر المهجر في الادب اما الشاعر الاخر فهو ايليا بي ماضي وهو من شعراء المهجر الذين تميز شعره عن غيره بالحنين الجارف للوطن(٩)

واما ميخائيل نعيمة اذ يعد من النقاد قبل ان يكون من الشعراء عبر عن اغتراب الروح والانفصال عن الجسد وأشتهر بالفلسفة الشعرية وتميز شعره بالشوق الى البلد الذي ينتمي اليه واما رشيد سليم الخوري من أبرز شعراء المهجر الجنوبي جماعة العصبة الاندلسية اشتهر بغزارة الحنين واللوعة في شعره وتناول قضايا الامة العربية اما نسيب عريضة وهو من شعراء المهجر الذين عرفوا بالوجدانية الرقيقة جسد حرارة الاغتراب بصورة واضحة في ديوانه.

٣- اسباب الاغتراب

هناك أسباب عديدة جعلت من شعراء المهجر الشمالي والجنوبي أن يغتربوا ويوظفوا ذلك من خلال كتاباتهم واهمها:

١- السياسية: لقد الظروف المحيطة بشعراء المهجر في لبنان وسوريا بالخصوص عاملا مهما للنزوح والهجرة بسبب سيطرة الاحتلال على بلدانهم واخذ ما يملكون بالقوة مما ولد عندهم ردة فعل اتسمت نهايتها بالهجرة الى امريكا وفرنسا.

٢- الاجتماعية: تولد لديهم شعور بالعزلة والانفصال عن العالم أو القيم او المجتمع أو الذات ومن أهم الأسباب الواضحة اجتماعية هو التطور الحضاري وضغوط الحياة وضعف العلاقات الاسرية وتصارع القيم. (١٠)

٣- اقتصادية: نتيجة السفر الى بلد آخر يمتاز باختلاف نظام العمل فيه وقوة الرأسمالية جعل العامل يشعر بالانفصال يشعر بالانفصال عن نتاج عمله، وتولد عندهم اللامعيارية

٤- تكنلوجية: هو ايضاً من الاسباب الواضحة أذ ان أكثرهم أي شعراء المهجر هاجروا من الريف ال كانوا يتفاعلون مع بيئة فلاحية بسيطة ثم تفاجئوا بالتطور التكنولوجي وهذا ما جعلهم في اغتراب اخر عن الحياة.

اثار الاغتراب

1- العودة إلى الذات: تأثر ادباء المهجر بالفلسفة الصوفية وخاصة ابن عربي ودعوا الى العودة الى الذات ووحده الوجود اذ لا يكن فصل الخالق عن المخلوق والروح عن المادة وهذا وحدة خلق لديهم ابداع

٢- اذ تحول الاغتراب الى الابداع في كشف الحقيقة المخفية عن اغلب شعراء المهجر حيث استخدموا رموز صوفية مثل الخمر، الصومعة، العشق، وغيرها.

٣-خلق وطن بديل داخل الذات: قاد الاغتراب إلى تغيير في التفكير وانكسار داخلي مما جعل الشاعر يغوص في اعماق نفسه متجاوزاً الواقع المادي الى عوامل خيالية وروحية.

٤- الدعوة للوعي والسعي اليه: أثمر الاغتراب رفضاً المادية والاتجاه نحو المعرفة الاشراقية والروحية لتفسير الوجود.

٥- النضج السياسي: ادى الاغتراب لدى شعراء المهجر نضجاً سياسياً وليس فقط شعور بالحنين مما ادى الى تجاوز النظرة التقليدية حيث تفاعلوا مع الثقافات الغربية وامتزجت الثقافة العربية مع الثقافة الاجنبية مما ولد نتاج ادبي وفكري متطور تميز بروح الحرية بعيداً عن القيود المفروضة في بلدانهم حيث أصبح شعرهم منصة للتعبير عن أفكارهم بحرية معالجين ازمة الانسان المعاصر ونقد الواقع العربي بوعي أكثر جرأه وعمقاً. (١٠)

ففي قصيدة جبران خليل جبران نجد عمق الانعزال والغربة الروحية التي امتزجت لتكون حقيقة صامتة

اذ يقول:

أعطنـــــي النـــــاي وغنـــــي فالغنـــــا ســـــر الوجـــــود

وانـــــين النـــــاي يبقـــــى بعـــــد ان يفنـــــى الوجـــــود

وكذلك يذكر جبران الاغتراب المكاني الذي لطالما حاول تجاوزه من اجل مستقبل أفضل للحياة اذ يقول

وانـــــا صـــــرت بعيـــــداً عـــــن نـــــداءات الشـــــعوب

فهـــــي لا تســـــمع صـــــوتي وانـــــا لا اســـــتجيب

فيغترب جبران اغترابا روحيا آخر ممتزجا بالنزعة الصوفية التي يلتمس منها حركة الثورة ولعله في البعد المكاني يشعر باليأس عن نصرة اخوانه في لبنان وبلاد الشام بصورة عامة.

اما ميخائيل نعيمة فقد ذكر في قصيدته الابعاد الصوفية والفلسفية متجاوزا اعماق الوطن اذ يقول:

يـــا نهـــر هـــل نضـــبت مياهـــك فانقطعـــت عـــن الخريـــر؟

أم قـــد هـــدمت وحـــار عزمـــك فانثنيـــت عـــن المســـير؟

فهنا الشاعر جسد ادواراً عديدة في قصائده التي عدت من القصائد الصوفية الشهيرة.[١١]

واما فيما يتعلق بالاغتراب المكاني فقد كان من وجهة نظر أخرى منها

١- للتعلم: ان التعلم عد سبباً رئيسيا في حياتهم رغم صعوباته وكان سبب من اسباب الاغتراب وقد لوحظ ذلك في مسيرتهم.

٢ – الصحة: – ولد الاغتراب عن حالة مرضية أو نفسية او جسدية وتشمل الاسباب المتعلقة بالحالة الصحية او الاضطرابات النفسية او الوساوس او القلق او الانفصام والذي كان له نزعات صوفيه في اغلب الاحيان وولدا مضطربا بعد الصدمة والضغط النفسي الشديد والتوتر والاكتئاب من المحفزات للاغتراب. واما السبب الرئيسي في الاغتراب عند المهاجرة هو الجانب السياسي الذي انتجته الحكومات المتعاقبة على شعب بلاد الشام الذي تحول الى مادة دسمة لتصدير ثورة القلم[١١]

ومن هذا الكلام المتقدم يمكن عد مفهوم الاغتراب بالآتي:

هو مفهوم معقد في العلوم الانسانية يصف شعوراً يمثل حالة سلبية ناتجة عن القهر الاجتماعي ويدخل في الابعاد النفسية والاجتماعية والاقتصادية يسلب الانسان إنسانيته في سياق وجوده ويرى هيجل: ان الاغتراب يقترن بالوعي الذاتي حيث يكون وعي الانسان مغترباً عن حقيقته ويمثل الاغتراب مرحلة ضرورية لفهم الذات وتجاوزه [١٢]

اما ماركس فيركز على الاغتراب الاقتصادي حيث ينفصل العامل عن نتاج عمله ويصبح المنتج غريباً عنه بالإضافة إلى الاغتراب طبيعته البشرية [١٣]، كذلك نلحظ أن أهم ما يميز الشعر المهجري هو نزعته التأملية والاهتمام بالروح والتأمل في الكون والبحث عن القيم الانسانية اذ يرون أن التصوف هو منبع روحي يعكس او يركز على تزكية النفس والزهد في الدنيا والسمو

بالأخلاق للوصول إلى مقام الاحسان، والتصوف المقصود في هذا البحث هو ليس الطريقة عند الصوفيين المعتادة من الانعزال وعدم الزواج وما شابه انما الأفكار الصوفية والاتحاد مع الخالق رغم أنهم ليسوا اسلاميين اذ يعد رافداً من أهم الروافد التي تأثر بها الشعر العربي المعاصر كما ذكرنا وان الرومنتيكية هي الاقرب الى الصوفية كما يذكر الزهاوي جميل صدقي(١٤)

لمـــا جهلـــت مـــن الطبيعـــة واقمـــت نفســـك مقـــام معلـــلِ

أثبـــت ربـــا تبتغـــي حـــلأ بـــه للمشـــكلات فكـــان اكبـــر مشـــكلِ

المطلب الثاني – دور الاغتراب في الحركة المهجرية وابعاده الصوفية

لم يكتف شعراء المهجر بذكر الفاظ متداولة مثل النوى – الفراق التعبير عن الغربة والتأثير في النفس كقول رشيد سليم(١٥)

اغتـــرب فلعـــل خليلـــك بـــالنوى يســـلو كـــأن نعيمـــة يســـلوه

ان كـــان يطلـــب فـــي ناوهـــا راحـــة مـــا لفـــراق بـــين حبـــب وعـــدوه

واما ما ذكره ايليا أبي ماضي في قصيدته

يوم الفراق

طـــرتم بـــأجنحتكم المُنـــى إذا طـــرتم يـــوم الفـــراق كظمـــتم آلامكـــم

و أخـــفّ مـــن ألـــم الفـــراق جهـــنّم وبكـــى الأحبّـــة حـــولكم وجفـــونكم(١٦)

حيث صور في الابيات الم الفراق واثار البكاء والدموع عند الوداع في عيون الذين يودعون غير باكية كأنها جلدة صلبة لا تدمع

تعصـــي البكـــا حـــزن الجبـــابر ابكـــم أيـــد تـــودّع موطنـــا وعشـــيرة

من خلال ذلك برز لنا دور الغربة والاغتراب في تلك الحركة المهجرية للشعراء الذين جسدوا دور الاغتراب ووظفوه ايما توظيف في الحنين للأوطان حيث كشفت اللغة عنصر مهم من العناصر في الصورة الشعرية وأحسن شعراء ال مهجر توظيفها.

فبعد لغة الاغتراب بحثوا في ركائز تلك الحرقة الروحية ووجدوا ان الصديق والاخ والرفيق يجب أن يكون حاضرا في شعرهم كي تكتمل لديهم اركان تلك الاغترابية الفادحة واستعمالهم اسلوب النداء للبلد الاول بالأم، الأخ، الصديق دليل على الحنين الذي انماز في شعرهم وحيث يذكر ايليا بي ماضي بيتاً بقوله يا اخي لا تشح بوجهك عني من انا فحمة ولا انت فرقدٌ(١٧)

ففي هذه التجربة يعد الاغتراب محركاً اساسياً في الادب المهجري حيث حول الشعراء والادباء غربتهم المكانية عن أوطانهم إلى تجربة روحية وفلسفية اتسمت بملامح صوفيه واضحة بحثاً عن الذات والاتصال بالخالق المطلق.

حيث بدأ البحث عن الوطن الروحي نتيجة الغربة المادية اتجه المهجريون إلى البحث عن وطن مثالي او عالم نقي هروباً من المادية الغربية وظلم الحياة حيث هنا أطغى طابعا صوفيا على نتاجهم وأصبح الاغتراب وسيلة للعروج الروحي حيث تجاوز الألم المادي عبر الحب الإنساني والكوني والتسامي نحو المطلق. (١٨)

حيث انتشرت في شعرهم مظاهر الاغتراب الروحي مثل التوق إلى العودة للذات الالهية والاتحاد والضمأ الروحي في عكس تجارب صوفية تسعى للفناء في الوجود ولم تعد الطبيعية مجرد مشهداً في مشعرهم، أصبحت تجلياً للألوهية حيث تعكس الاشجار والانهار والنجوم معاني الوحدة والاتصال بالمطلق. واستخدامهم الرموز العرفانية خير دليل على ذلك، أيضاً، مثل استخدام الخمر، الوجد، القرية الذات، البقايا، الهيكل، وهي عبارة عن تعابير عن معاناة روحية والشوق على الحقيقة الكلية اما الشطح فهو بعد من ابعاد الصوفية فقد تجاوز المألوف في بعض قصائدهم، أدت هذه التجربة الوجدانية الى نوع من الشطح او الخروج عن المألوف العقلي وفي رؤى فلسفية حيث تحول الاغتراب بفضل ذكاء هؤلاء الشعراء من أزمة وجودية الى تجربة عرفانية صوفية نجد من خلالها في خلق فن رفيع يمتزج بين الشوق للأرض والشوق للسماء. (١٩)

حيث يعد الاغتراب مشكلا السمة الابرز في حياة شعراء وكتاب المهجر خصوصاً شعراء الرابطة القلمية ويعد الاغتراب شعوراً بالبعد والانكفاء الذي وظفه الشعراء بالتالي نحو الثورة ضد العادات والتقاليد بحيث ولد عاطفة جياشة من الحنين والشوق اذ عاش شعراء المهجر تلك الايام وهم يلكون تلك العواطف. ولعل الاضطهاد السياسي دافعاً وراء هجرتهم وتدهور الأوضاع الاقتصادية والطائفية جعلت منهم بابا سهلا واضحاً للتمرد والذي عد نوعاً جديداً في حياة الشعراء الذي صار واضحاً في أشعارهم واتجه الاغتراب هنا اتجاهين:

اغتراب عن الذات الذي هو انفصال عن ظرف انساني مثالي. واغتراب الذات وهو فقدان الهدف وضياع الطريق فلا يرى في الافق الا الندم وحرقة الألم والاهات تبعث من بين كلمات الشاعر المهجري وهذا النوع كان مصدر الهام شعراء المهجر فالشاعر هنا لا يرى لحياته معنى فكل افكاره بلا هدف لذلك يزداد شعوراً بالضياع والالم والوحدة كما حلله ماركس بربطه بالعمل واعطاه معنيين الاول الناتج عن انفصال المرء عن ذاته الانسانية الحقة وطبيعية الجوهرية(١٩) واستغل شعراء المهجر اختلاف قوانين البلدين سياسياً الأول البلد الأصلي وهو بلد الشاعر والثاني هو

البلد الذي سافر اليه الشعراء وبطبيعة الحال فإن اغلب الشعراء هاجروا الى أمريكا و فرنسا لكنهم لم يسكنوا الاحياء الراقية هناك بسبب العوز والفقر مما اضطرهم إلى السكن مع الجالية المهاجرة في الحي الصيني مثلاً وكذلك في سان باولو وخصوصاً الذي اتو من بلاد الشام وفضلوا ان يسكنوا مع أبناء جلدتهم وجاليتهم مما وفر اليهم الطابع الشرقي الذي وفر لهم الطابع النفسي والاجتماعي في مواجهة الغربة.

اما من حيث تتميز شعرهم بتمجيد الروحانية والنزعة الصوفية والتمرد على الحياة المادية الزائفة وكان يتماشى مع فلسفتهم التي ترفض القيود الاجتماعية التي دعتهم للسكن مع الفقراء وهذا ما ذكره د. عيسى الناعوري في كتابة أدب المهجر، فقد ظل اغلب الجنوبيين يجري على سنن المحافظين في الشرق اذ يرى اغلبهم في المحافظة على الديباجة العربية البليغة. (٢٠)

*** الاغتراب وآثاره النفسية والروحية**

الاغتراب في المهجر هو تجربة مركبة جمعت مرارة البعد والألم عن الديار وبين فرصة وامل التطور الذاتي والشخصي ويؤدي الى أثار معجمية نفسية واجتماعية وثقافية عن الفرد المغترب يمكن ذلك من عدة جوانب منها:

١ – آثار نفسية –: حيث يشعر المغترب بالوحدة والعزلة وتعد من أبرز الآثار حيث يفقد المغترب منظومة الدعم الاجتماعي الذي كان يتحصل عليه من الاهل والاصدقاء ما يجعله ينطوي ذاتياً على نفسه، واما مسألة الحنين هو شوق مكثف ينتج بسبب الغربة والابتعاد عنه الوطن وهو موضوع رئيس في شعر المهجر كما في قصائدهم وكتاباتهم، أما القلق والاكتئاب نتيجة الضغوط الناتجة من التحول من بيئة الى بيئة اخرى مختلفة تماماً عن الاولى التي كان فيه والادبيات التي نشأ عليها كانت مختلفة عن السابق كذلك الثقافات الجديدة التي اضطر الشاعر للتأقلم معها(٢١)

٢– الاثار العملية: ولدت هذه الآثار صدمة في الثقافة حيث صعوبة التأقلم مع العادات والقيم الجديدة خاصة في الفترة الاولى للمرحلة واما علاقاته القديمة فهو مضطر لخسارتها نتيجة البعد وعدم وجود اتصال بين الشاعر وبيئة الأولى ما يولد شعوراً آخر للحنين والاغتراب واما بالنسبة للموظف فهو يشعر باغتراب وظيفي بسبب الانقطاع عن عمله الأول نتيجة الاغتراب والسفر مما ينقطع عن مجتمعة الوظيفي، ومن هذه الآثار التي سببها الاغتراب انتجت عده امور منها(٢١)

أ– الحركة والهجرة نحو بلدات بعيدة وغريبة تزامنا مع التدخلات والاختلالات لموطن المهاجرين سواء اكان لبنان ام بلاد الشام بصورة عامة

ب – اللغة: انتجت الحركة الى ايجاد لغة بديلة ممّا اتاح فرصة للتعرف على طابع البلدان سواء اكان شعراً أم نثراً ام اكتشاف معين.

ج– التعليم في هذه البلدان الشعراء لم يستفيدوا منه لهم شخصياً وخصوصاً انهم هاجر وبعد أن أصبحوا كباراً الا ما ندر منهم وكما ذكرنا ان التعليم ممكن ان ينفع اولادهم وهذا ولد لديهم حالة أخرى من حالات الاغتراب النفسي والروحي.

د – التبادل الأسري: بعض شعراء المهجر تزوج في المهجر تاركاً بعد وفاته جينات متبادلة متأثرة بالبلدين من الأب ومن الام

و – صناعة افكار جديدة اتسمت بالعلمانية اللادينية نتيجة الاغتراب الروحي الذي كبر عندهم بسبب انتقامهم من المعبد والكنيسة بسبب ظروف الحياة وأن اغلب المهاجرين هم من الديانة المسيحية.

ز– شكل العامل الاقتصادي وتذبذبه من الفقر والعوز حالة كبيره من الاغتراب فمنهم من استفاد من السفر ومنهم لم يستفيد من السفر اذ بقي على حالة من العوز والفقر والحرمان وهذا ولد حالة كبيره من الاغتراب الروحي والنفسي مما زاد آلامهم في الغربة.

ومن ذلك ما وجدناه في اشعار جبران خليل جبران حيث جسد ذلك الشاعر اللبناني البلد المسيحي الديانة الاغتراب كونه شعور عميق نابع من ذاته المرهفة بالوحدة والوحشة ليس لكونه هاجر الى امريكا (هجره وطن) بكل تولد لديه اغتراب ذاتي وهو أخطر من اغتراب الوطن حيث شعر بانه غريب عن اهله عن نفسه يرى الاخر من منظور مغاير ويتطلع الى بلد سحري في طموحاته كما ذكر في كتابة المواكب حيث يقول

هل فرشت العشب ليلاً ... وتلحفت الفضا

زاهداً فيما سيأتي ناسياً ... ما قد مضى

أعطني الناي وغني ... فالغنا سر الوجود

وانين الناي يبقى ... بعد ان يفنى الودود

وسكوت الليل بحرٌ ... موجه في مسمعك

وبصدر الليل قلبٌ ... خافق في مضجعك

فتجرد جبران عن صخب الحياة المادية، وهو تجرد اغترابي لامس النزعة الصوفية من الزهد في الحياة وأن سكون الليل فرصة للحوار مع الذات كما يعبر.

ويقول ايضا ذاكراً اوراد الروح الصوفية

هـــــــل تحممـــــــت بعطـــــــر وتنشـــــــــفت بنـــــــــور

وشـــــــربت الفجـــــــر خمـــــــرا فـــــي كـــــؤوس مـــــن أثيـــــر[٢٢]

حيث نلحظ في ديوانه بصورة عامة وفي اشعاره (المواكب) وقصيدة أعطني الناي وغني هي دعوة للانفراد والعزلة عن الحياة وزخارفها حيث اصطدم الشاعر بالواقع المادي فبحث عن بديل للحياة التي عاشها فرام يبحث عن حياة فطرية مثالية بعيدة عن ضجيج الحياة وصخبها مفضلاً الحياة بين أحضان الطبيعة على الحياة في المدينة وهنا رسم لنا صورة الاغتراب العقلي أي أن المدينة حالة من الحركة والاختلاط

ويذكر ايضاً

لـــــيس فـــــي الغابـــــات حـــــزنٌ لا ولا فيهـــــــــا الهمـــــــــوم

فـــــــاذا هـــــــبَّ النســـــــيمُ لـــــم تجـــــي معـــــهُ الســـــموم

وغيـــــــوم الـــــــنفس تبـــــــدو مـــــــن ثناياهـــــــا النجـــــــوم

ويستمر شاعرنا المهجري بحثه عن البساطة والامان والبعد عن الحياة المدنية مما ولد حالة من اغتراب االروح وهو قد جرب الحياتين لأنه كان من ابوين قرويين كما وظف دور الانفراد والانعزال في الاغتراب الى مؤسسة ادبية خاضت كثير من المعارك الادبية وانتصرت فيها لصالح بلدانهم رغم أن البعض وظف الاغتراب بصورة سلبية الا انهم عكس ذلك فقد وضفوا الاغتراب لصالح الفن والادب كدافع للتعبير عن الالم والمعاناة وكسر القيود وايضاً وظف الفلسفة لتحليل الانظمة الاجتماعية والاقتصادية مثل الرأسمالية. [٢٤]

ومن هذه الصور تتضح لنا أسباب الاغتراب عند جبران بوجه الخصوص وممكن عده اغتراباً سياسياً لدى جبران خليل جبران بالوجه الخاص وشعراء المهجر بالوجه العام وهو كفيل برسم صورة سوداوية عن البلد الذي ارتحل منه بسبب سياسات حكومته العميلة حيث رفض جبران ان يحاكي تلك العمالة التي سببتها سياسات الدول (بلاد الشام) وهنا ولد لدى شعراء المهجر نوعاً آخر من انواع الاغتراب وهو التمرد الذاتي والشعبي لديهم مما ادى الى اثار سلبية كبيرة على حياة المهاجرين اذ سبب فقدان الانتماء الى سلوكيات سلبية أو فقدان الشعور مما يؤدي الى تولد تمرداً على الثوابت والقيم ايضاً وقد انتج هذا النوع من الاغتراب سلاحا ذو حدين فمرة يكون نافعً اذ يعد مصدرا للنمو الفكري والسياسي وغيرها ومره يكون غير نافعاً اذ يصبح مصدراً من مصادر الألم والآهات اذ يشعر المغترب بها حال وصوله الى البلد الجديد.

وهنا تعد صورة واضحة من صور الابداع في الادب المهجري الذي كان السمة الرئيسية للثقافات التي انتجت هؤلاء المغتربون حيث ولدت ادباً غنياً بالتأمل الفلسفي والروحي والانساني مثل إنتاج المدارس الأدبية كالرابطة القلمية لجبران خليل جبران والشاعر المهجري ميخائيل نعيمة اذ ولد هذا الالم إبداعاً من نوع آخر. وأما مسألة الاندماج حيث واجة شعراء المهجر اندماجاً معكوس اذ من الصعب ان يندمج الشاعر المهجري بسرعة مع البيئة الجديدة فهنا يواجه تحدي من نوع آخر وهو كيف يوفق بين الخصائص القديمة العربية وبين الاندماج في المجتمع الجديد ولعل المجتمع أكثر اغتراباً بسبب ظروف الحياة والاختلاط وعدم العودة الى الاصول التي ينتمي اليها اهل البلد وهنا بدأ نقد المهاجرين إلى طغيان المادة في الغرب على القيم ويبدأ عندهم حلم العودة الى القيم الروحية والطبيعة. (٢٣)

المطلب الثالث: الاغتراب ودوافعه للانعتاق والاتحاد الروحي

يعد الاغتراب في الادب المهجري مقاماً صوفيا وليس علة فالحرمان من البلد الذي يعيش فيه والاصطدام بالحضارة المادية الجديدة ولد شعوراً بالغربة الوجودية، جعل من الروح مغتربة في الجسد والعالم، هكذا تحولت الغربة المكانية الى بوابه للتخلص من القيود السائدة ففي الشرق كان المجتمع مرتبطاً بقيد ما. وفي المهجر تحرر من ذلك القيد لكنهم وقعوا في قيد آخر هو العوز. حيث حولت الأهداف الصوفية الاغتراب من حالة ضعف الى حالة قوة فالوطن لم يعد أرضا بل حالة روحية، أعاد المهجريون انتاج الوطن من مكان جغرافي تحده حدود معينة الى ضمير ذلك الإنسان وأصبح الاغتراب شرطاً للانتباه إلى الجوهر مثلما يحتاج الذهب إلى الصقل، ويرى ميخائيل في قوله الوطن حيث تكون الروح حرة.(٢٤) ويرى أن القرية ليست مرتبطة بمكان بل هي حالة داخلية حتى لو جلسنا على ارض نعدها أوطانا نبق غرباء حيث حول الوطن من مادة جسمانية الى روح يقول في غرباء : همس الجفون

نحـــن غربـــاء وان جلســـنا علـــى ارض نعـــد بانهـــا الأوطـــان لنـــا

ويرى بأن القرية لبيت صفة مكانية بل وجودية فحتى لو جلسوا على ارض يرون انها وطنهم الا انهم يشعرون بالاغتراب وتفسير ذلك ان الانتماء ليس في الارض فقط بل بالروح التي يحققها الإنسان بالمعرفة والحب، فعالج موضوع الاغتراب لدى نعيمة تحويل مفهوم الوطن من امر مادي الى امر روحي فمن لم يجد وطنه الروحي داخل نفسه لن يجده في اي مكان على الخريطة فهذه الرؤية الاغترابية مستمدة من الرؤية الصوفية القائلة العارف وطنه حيثما كان مع ربه، كما انها تعكس تجربه المهاجر الذي ابتعد عن ذلك الوطن الجغرافي فليس هناك ارضا بديلة للتعويض.(٢٥)

وهنا يدعو الى بناء وطن من الداخل بهذا يكون قد أعاد انتاج معنى الوطنية من الانتماء إلى الأرض إلى الانتماء إلى القيم والمشاعر. [٢٦] وان جبران مفارقاً بلده لكنه وجده في ضمير الساكتين هنا قلب الصورة (الغربة والاغتراب لدى جبران وظفت للحصول على الوطن الحقيقي حيث يقول جبران خليل جبران في ديوانه دمعة وابتسامة

كنـــت فـــي بـــلادي غريبـــاً وجـدت بـلادي فـي ضـمير السـاكتين[٢٧]

حيث قدم الشاعر جبران خليل جبران مفارقة مذهلة كنت غريباً في بلادي أي حتى في اهله ووطنه كان يشعر بالغربة ولم يشعر بالانتماء بسبب التقاليد الصارمة والرقابة الاجتماعية إلى أن يصل إلى نتيجة (وفي غربتي وجدت بلادي في ضمير الساكتين) هنا في المهجر بعيدا عن الوطن الجغرافي اكتشف وطنه في ضمير الساكتين في أعماق الناس الطاهرة وعقولهم المتنورة كلمة ضمير تحمل معنى الوعي والقيم فهنا تحول الاغتراب المكاني الى اغتراب وجودي وتم اعاده انتاج الواقع بتحويل الوطن المكاني الى ضمير. ومن عدم الى وجود ومن تراب الى انسان، فاذا كان الوطن في الضمير فلا يمكن ان يفقد ولا يمكن تغييره او نفيه لانه مصدر الهام. وهو هنا يعكس نضجاً فلسفياً الانسان الحر يحمل وطنه في اعماقه. الشاهد يذكر بقول درويش لاحقاً (وطني ليس حقيبة) فيختلف جبران هنا بتحويل الغربة إلى اكتشاف الانتماء الحقيقي والذي لا يغيره شيء. [٢٨]

اما الشاعر ايليا ابي ماضي فقد صور الفراق اين اهلي وأين كرمي وداره؟ كل شيء، تركته ورائي هذال الالم هو مفتاح التحول لأنه فقدان اختياري للقيود والتخلي عنها حيث يقول في قصيدة تذكار الماضي

ايـــن أهلـــي وايـــن كرمـــي وداري كـــل شـــيء تركتـــه ورائـــي[٢٩]

فهنا تعبير عن الدهشة والحسرة حيث شكلت هذه الأشياء هوية تركها خلفه. هذا هو الواقع للاغتراب

والبعض يرى ان ايليا ايضا قام بالتخلي الاختياري حيث قال تركت فهنا الفعل اختيارياً وليس الفقدان القسري اي أنه اختار أن يترك هذه الاشياء حتى لو كان الالم عظيما في سياق القصيدة من ترك الأهل والديار هو بادره للانطلاق الروحي حيث ان الاغتراب تجسد بالاختيار وليس مصيبة اجبارية للخروج من البلد، اما في فلسفة التجرد الصوفي التي ضمنت كلماته (تركته ورائي) وليس ضاع منه اي ان الانسان يترك كل شيء يشغله عن الله. حتى الأهل والدار وبهذا تكون الغربة المكانية نسخة مادية من التجرد الروحي والهجرة هي رحلة نحو الكمال، حيث ان هذه الشواهد كفيلة بمنح القدرة على اعادة تأطير الخسارة وتحويلها الى مكسب. [٣٠]

ويرى نعية ايضا صورة مشابهة اذ يقول

تفرقــت بـــي الســـبيل وحضـــرت طريقـــاً وفـــاتني النـــاس فصـــرت انـــا النـــاس[٣١]

هذا البيت يمثل الاغتراب الحقيقي الفلسفي اذ يعبر عن اقصى درجات الضياع لكن في النهاية حول الضياع الى نجاح (فصرت طريقاً) من ضال تائه غير معروف الى هادٍ ثم يقول فاتني الناس اي انقطعوا عني فصرت انا الناس أي وعاء يحتوي الجميع وهذا هو الفناء في الكل حيث نلمس أن الذات الفردية الواحدة تتحد وتذوب في الجميع او الوجود الكلي فتصبح هي الكل، حيث تحول الاغتراب الى هداية والانقطاع إلى اتصال وهنا نلمس التحول الانطولوجي حيث ليس هناك انا منفصل بل أنا تتسع الجميع هو الحل لإلام الغربة حيث تصبح أنت كل شيء فلا تفقد شيئا.[٣٢]

هذه الشواهد من نعيمة الى جبران ثم ايليا ثم نعود الى نعيمة حيث نرى في نعيمة انه يعترف بالغربة كحالة دائمة ولا يقدم حلاً سوى تعريف الوطن روحانياً قوته في الواقعية لكن تحوله محدود.

اما شاهد جبران الثاني فهو يغير مسار الاغتراب حيث حول مسير الغربة للعثور على وطن حقيقي حيث اعطى انموذج من نوع آخر اذ رسم الامل العملي رغم الاغتراب الذي يملأ خافقيه، أما أبي ماضي فقد عبر عن الألم الأولي للفراق لكنه زرع بذور التحرر من خلال ابتعاده عن الديار اختيارياً فانتج قوته في صدقه العاطفي لكنه لا يصل إلى التحول الكامل داخل البيت الواحد اما شاهد نعيمة فقد كان أكثر انجازاً اذ تحول الضياع المطلق إلى طريق هداية رسمت لوحة صوفية عالية الدقة من الانقطاع إلى الاتصال وهنا قد حقق الفناء في الكل الذي هو اعلى مقامات التصوف وان جبران في شاهده هو الاكثر تشجيعاً لأنه يخبره أنه سيوجد وطن في قلوب الناس، ولعل نعيمة وصل الى النضج الفلسفي الصوفي من خلال الاغتراب عن الارض فهنا انتج من خلال الالم قوة ومن خلال الضياع هداية واصبح بداية مرحلة تحول عميقة.

الطبيعية دورها في الاغتراب

ان الشعر المهجري قائم على ثنائية حادة الغابة / المدينة فالغابة في نظرهم اي شعراء المهجر هي روح، صدق، سكون، مساواة، اما المدينة فهي في نظرهم ماده، زيف، ضوضاء، اختلاف طبقي.

فان المهجرين حين هربوا الى الطبيعة لم يكن هروبا جباناً بل ثورة صامتة ضد الحضارات المادية حيث اعاد المهجريون إنتاج المعبد الروحي بإحلال الغابة محل الكنيسة حيث يرى هؤلاء الشعراء أن الغابة هي الروح التي من خلالها ينطلقون دون وسيط.

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ١١

حيث يقول جبران خليل جبران

انـــا فـــي الغابـــة اطـــوي المســـافات وارى الارض كنيســـــــــــــــات

فهنا يرى أنه في الغابة يحدث أمران الاول هو تجاوز الزمان والمكان في (يطوي المسافات) ويرى أن كل شبر يصبح مكان للصلاة (أرى الأرض كنيسات) حيث الواقع هنا يفرض ارادته بأن لا يحتاج الى مكان محدد للعبادة بل تكفي الغابة ليجعل كل الأرض مقدسة فهنا ينسجم مع وحده الوجود (الله موجود في كل شيء فلماذا نحصره في مكان محدد دون آخر) حيث يرى جبران بأن يتحرر الانسان من الحاجة إلى الوسيط والمكان الخاص ويجعله امام الله مباشرة في معبد الطبيعة الجامع كما ان اطوي المسافات توحي بأن الغابة تسهل الوصول إلى الحقيقة دون عناء حيث تتوافق رؤية مع الرؤية الصوفية التي تختصر الطرق وبهذا الشاهد يكون جبران قد عاد إنتاج مفهوم المكان المقدس من حيز ضيق الى الكون كله.[٣٢]

واما نعيمة فيقول

دع المـــدائن تصـــخُ بزائـــف الحَلـــم وهلـــم نعبـــدُ فـــي ســـكون الأرز

حيث بدأ بعل (دع) يصف المدائن بأنها فرعية وذات ضجيج زائف اي اوهام الثروة والشهرة حيث يقول لنعيش في شجر الأرز اللبناني رمز القوة والخلود. والعبادة هنا ليست طقساً بل وقوف امام الطبيعة تأملا بعيدا عن الناس مداخلاً الاغتراب الشكلي حيث قام بتقديم بديل جذري عن المدينة الغابة كمعبد صامت والاحلام حقيقة حيث قال تعالوا نعبد لم يقل لنهرب فهنا حول الهروب من الواقع المعاش الى التمني حيث الهروب الفردي لا يكفي بل جماعة روحية تشارك العبادة والأرز يربط المهاجر بوطنه فأراد ان يربط الغابة المتمثلة بالأرز اللبناني المقدس. حيث حاول انتاج العبادة بطريقة مغايره وليست تقليدية. [٣٣]

وايضا يرى ايليا ابي ماضي في قصيدته القرية

ايهـــا البيـــت الصـــغير بكرمـــه انـــت فـــي عينـــي أعـــز مـــن القصـــور

ينادي ايليا البيت في كرمه (مزرعة العنب) رمزاً للخير والطبيعة، انت في عيني اعز من القصور فالقصور رمز للترف لكنها رمز التصنع عن الطبيعة حيث تفضيل البيت الصغير على القصر هو ثورة قيمية فإن الكرامة عندهم ليست بالمساحة المادية بل بالعلاقة مع الطبيعة وان هذه القيم لدى ايليا نابعة من وعي ذاتي اعادة انتاج الواقع هنا تتم باستبدال معايير التفاضل حيث يكون البيت الصغير هو قصر وبالعكس قلب القيم الذي دعا اليه نيتشه بلون صوفي ومدى

نجاح الانسنة في خلق رمز صوفي مؤثر يأتي شاهد الموت هو أكبر هاجس إنساني يصيبهم ويجعلهم في دوامة الاغتراب الذي لا ينفك مادام الانسان وراءه موت. (٣٤)

اما نسيب عريضة فيقول في ديوانه لوح حائر:

هربت لحد الغابة من ضجة الحياة فوجدت سكينة الروح تحت الأغصان

فهنا الهروب هو واقع اغترابي من نوع آخر اذ انه باب من ابواب الخوف لكنه إلى الافضل هروب من ضجة الحياة التي هي القلق والمسؤولية المزيفة حيث يقول وجدت سكينة الروح تحت الأغصان والسكنية هي الطمأنينة فهنا تعامل روحياً لا جسدياً ويختلف عريضة عن السابقين بأنه لم يجد كنيسة أو معبد وجد سكينة وهذا غاية المطلق الذي يختفي من حياة الانسان المغترب وهنا عريضة اعاد انتاج الغابة كملجئ للروح والضجة كعدو للروح. (٣٥)

كل هذه الشواهد السابقة قدمت عدة مستويات للخلاص بالطبيعة حيث يتطابق نظر جبران مع وحده الوجود ونعيمة يقدم بديلاً جماعياً يدعو الى جماعة روحية واما ايليا فقد كان أكثر واقعية واقل تكلفاً في البحث عن الذات فقد كان أقلهم تصوفا اما عريضة فقد قدم علاجاً نفسياً وهو الأكثر صدقاً وتواضعاً، وجميعهم يتفقون على رفض المدينة كرمز للمادية والزيف والغابة بديل مقدس لكنها تختلف في الأدوات وجعل المدينة جحيم والغاية جنة مع العلم هم سكنوا المدن ويعملون فيها.

النتائج

١- توصل البحث الا ان الاغتراب في الشعر المهجري ليس هروبا من الواقع المادي بل هو بحث عن اتحاد الروح وعبوراً للحدود.

٢- اثبت الدراسة أن الاغتراب بسبب أثارة تحول عندهم من واقع مر ميت وسوداوي إلى انتاج ونجاة والتخلص من اليأس.

٣- كشف البحث ان الاغتراب في شعر المهجر قد ألغى مسألة الحدود المكانية وانه عابر لها متشبثاً بالروح واتحادها بالمطلق وهي رؤية صوفيه بحتة،

٤- كشفت الدراسة أن شعراء المهجر يملكون قلما وروحا اي ليس فقط يكتبون بل لمسوا حرارة الاغتراب على أرض الواقع المادي وهذا يعطي طابعاً جيدا نحو الاستدامة.

٥- انتهى البحث الى ان الاغتراب في زوايا المهجرية هو انعكاسات للصوفيين القدامى امثال ابن عربي والسهروري.

التوصيات: -

١- يوصي الباحث الى اجراء دراسات نقدية بين آليات الاغتراب المكاني وآثاره الروحية مستمدا ذلك من التجارب الصوفية

٢- يوصي الباحث الى تطبيق مصطلح الاغتراب على الظواهر الأدبية الاخرى لأثبات هل أن المصطلح قريب منها ام لا.

٣ - يوصي الباحث بدراسة التأثيرات الناتجة من اغتراب المهجر ومقارنتها بالنتائج التي حققتها الحركات الأخرى من السفر الطبيعي الغير مرتبط بشاعر معين.

٤- يوصي الباحث بدراسة مقارنة في الاغتراب بين كل من جبران خليل جبران و ميخائيل نعيمة وفق أثر نقدي.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي حاول استجلاء آليات اكتشاف الاغتراب في الشعر المهجري من زاوية صوفية وبعد ان خضنا في ابيات الاغتراب لدى شعراء المهجر أمثال جبران وميخائيل وايليا ابي ماضي ونسيب عريضة، وتوقفنا عند الشواهد الشعرية التي حولت الاغتراب المكاني الى اغتراب وجودي يمكن استثماره بين الحين والحين والآخر ومن خلال الاغتراب اتضح لنا ان شعراء المهجر ليس ناقلين سلبيين لمعاناتهم ولا كانوا مهتمين لصخب الحياة المدنية بالرغم من أنهم عاشوا داخل المدن وعملوا داخل المدن الا انهم وصفوا لنا أن الغاية هي سحر الاوطان وانها متفوقة على المدينة.

وكانوا مبدعين حقيقيين اعادوا صياغة الاغتراب المكاني والغربة من خلال عملية تفكيك جذرية للواقع المادي الحسي تم إعادة صياغته وفق رؤية الاغتراب الصوفي الاشراقي حيث تحولت لديهم الالفاظ من مدلولها الظاهري الى مدلول آخر أكثر تأثيراً في النفوس كما حولوا الليل من رمز للوحدة والظلام والموت إلى ساحة للتحدي واشعال نار البحث الذاتية واثبت البحث ان الاغتراب المكاني لم يكن عائقا امام الشعراء المهجرين بل كان بوابة للدخول الى الاتحاد الروحي الصوفي فكلما اشتدت الغربة وضاقت بهم سبل العيش تنامت القدرة على التحليق في فضاءات الروح لإنتاج افكار جديدة عن عالم آخر أكثر عدلاً وجمالاً كما كشف البحث اثار الاغتراب واسبابه وحيثياته والدوافع وراءه وهل كان اختياريا ام اجباريا ام متفاوت بين بعضهم البعض.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

- أدب المهجر بين أصالة الشرق و فكر الغرب دراسة تحليلية موازنة نظمي عبد البديع محمد دار الفكر العربي القاهرة ط١، ١٩٧٦م
- أدب المهجر: عيسي الناعوري، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧م.
- الاغتراب في الشعر الصوفي: سلوساوي عمارنة كدية الجزائري، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب،٢٠١٣م
- الاغتراب عند إيريك فروم ، ترجمة حسن محمد حسان حماد، المؤسسة الجامعية، ١٩٩٥،
- الاغتراب في الفلسفة المعاصرة مجاهد عبد المنعم، ، دار مصر للنشر، القاهرة، ١٩٨٥.
- الاغتراب والحنين عند شعراء المهجر، إيليا أبي ماضي انموذجا: أمنية فراوتي أطروحة ماجستير، جامعة الجزائر، ٢٠١٦.
- الاغتراب والحنين في الشعر المهجري: محمد موسى، مكتبة عين الجامعة، جامعة الخرطوم
- الانسان الكامل في معرفة الاوائل والاواخر: عبد الكريم الجيلي، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- البعد الصوفي في الشعر المصري: بشار جمال، ،(اطروحة دكتوراه)جامعة ذي قار، ٢٠١٦.
- ديوان إيليا أبي ماضي إيليا أبي ماضي، تقديم : جبران خليل جبران ، ط٢، دار العودة بيروت لبنان،
- ديوان رشيد سليم الخوري: سليم الخوري، دار صادر بيروت ، ط١، ١٩٥٩م
- ديوان الزهاوي، جميل صدقي الزهاوي ،القاهرة ١٩٢٤م
- الرابطة القلمية، نادر جميل سراج دار المعارف، ١٩٦٤م
- الرمزية البروفنيكية في الشعر اللبناني حمدان أمية ، دار الفكر، بيروت.١٩٨١م
- الرمز الشعري عند الصوفية: نصر عاطف جودة ، بيروت، دار الاندلس، ١٩٨٣م.
- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد أحمد فتوح، ،ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤.
- رواية الاغتراب في الأدب الحديث، دعاء عيسى إبراهيم، جامعة البطانة، السودان، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات، كلية الإمارات، ٢٠٠٥.
- العروبة في شعر المهاجر الامريكي الجنوبي، عبد الرحيم محمود زلط ، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٢م.
- كتاب الاغتراب، هيجل، ترجمة محمد كريم، دار مصر للنشر، القاهرة، ط١، دار مصر للنشر.
- كتب أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، جورج صيدح، مكتبة الاطلس، بيروت، ١٩٥٧.
- لسان العرب : ابن منظور
- المعجم الوسيط :
- النزعة الإنسانية من مظاهر الاغتراب في الأدب الحديث، محمد نوتان مجلة العلوم، الجزائر، ٢٠١٦.
- النزعة الصوفية في كتابات جبران خليل جبران عبد العزيز بوشلاف ، مجلة جبل الدراسات الادبية والفكرية، ٢٠١٦م

Sources and References

The Holy Quran.

* *Diaspora Literature: Between the Authenticity of the East and the Thought of the West – An Analytical and Comparative Study*, Nazmi Abd al-Badi' Muhammad, Dar al-Fikr al-Arabi, Cairo, 1st ed., 1976.
* *Diaspora Literature*, 'Isa al-Na'uri, 3rd ed., Dar al-Ma'arif, Egypt, 1967.
* *Alienation in Sufi Poetry*, Salousawi 'Amarneh Kadiyah al-Jaza'iri, Master's Thesis, University of Abou Bekr Belkaïd, Faculty of Arts, 2013.
* *Alienation According to Erich Fromm*, translated by Hassan Muhammad Hassan Hammad, The University Foundation, 1995.
* *Alienation in Contemporary Philosophy*, Mujahid Abd al-Mun'im, Dar Misr lil-Nashr, Cairo, 1985.
* *Alienation and Nostalgia Among Diaspora Poets: The Case of Elia Abu Madi*, Omnia Farawati, Master's Thesis, University of Algiers, 2016.
* *Alienation and Nostalgia in Diaspora Poetry*, Muhammad Musa, 'Ayn al-Jami'ah Library, University of Khartoum.
* *The Perfect Human in the Knowledge of the First and the Last*, 'Abd al-Karim al-Jili, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1998.
* *The Sufi Dimension in Egyptian Poetry*, Bashar Jamal, Doctoral Dissertation, University of Dhi Qar, 2016. * *Diwan* (Collected Poems) of Elia Abu Madi, with an introduction by Gibran Khalil Gibran, 2nd ed., Dar Al-Awda, Beirut, Lebanon.
* *Diwan* (Collected Poems) of Rashid Salim El-Khoury, Dar Sader, Beirut, 1st ed., 1959.
* *Diwan* (Collected Poems) of Al-Zahawi, Jamil Sidqi al-Zahawi, Cairo, 1924.
* *The Pen League (Al-Rabita al-Qalamiyya)*, Nadir Jamil Sarraj, Dar Al-Ma'arif, 1964.
* *Symbolism in Lebanese Poetry*, Hamdan Umayya, Dar Al-Fikr, Beirut, 1981.
* *Poetic Symbolism Among the Sufis*, Nasr Atif Jawda, Dar Al-Andalus, Beirut, 1983.
* *Symbol and Symbolism in Contemporary Poetry*, Muhammad Ahmad Fattouh, 1st ed., Dar Al-Ma'arif, Cairo, 1984.
* *The Narrative of Alienation in Modern Literature*, Doaa Issa Ibrahim, Al-Butana University, Sudan; published in the *Journal of Arts, Literature, and Humanities*, Emirates College, 2005.
* *Arabism in the Poetry of the South American Diaspora*, Abd al-Rahim Mahmoud Zalat, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 1972.
* *On Alienation* (The Concept of Alienation), G.W.F. Hegel, translated by Muhammad Karim, Dar Misr Publishing, Cairo, 1st ed.
* *Our Literature and Our Writers in the American Diaspora*, George Saydah, Al-Atlas Library, Beirut, 1957. * *Lisān al-ʿArab* (The Arab Tongue): Ibn Manẓūr
* *Al-Muʿjam al-Wasīṭ* (The Intermediate Dictionary)
* "Humanism as a Manifestation of Alienation in Modern Literature," Muḥammad Nūtān, *Majallat al-ʿUlūm* (Journal of Sciences), Algeria, 2016.

* "Sufi Tendencies in the Writings of Gibran Khalil Gibran," ʿAbd al-ʿAzīz Būshalāf, *Majallat Jabal li-l-Dirāsāt al-Adabiyyah wa-al-Fikriyyah* (Jabal Journal for Literary and Intellectual Studies), 2016.